Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الشيخ المؤرخ محمد علي دبوز(1919-1981): منهج تعليمي جديد في زمن قديم

Sheikh Historian: Muhammad Ali Dabbouz (1919-1981): New teaching method in ancient past

الزرويل صالح، Zerouil Salah

جامعة غرداية، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

Phd student, Ghardaia University, Department of Social Sciences and Humanities, department of History, South Algerian laboratory for search on Islamic history and civilization

salah.zerouil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2021-07-18 **تاريخ القبول :** 2022-01-24

الملخص:

عرفت الجزائر فترة الاستعمار الفرنسي العديد من المشايخ والعلماء، الذين تركوا بصمة جلية في النفوس من خلال مناقبهم ومآثرهم، وتأتي هذه الورقة البحثية بغية الحديث عن الشيخ محمد علي دبوز المعلم والمؤرخ القدوة في معهد الحياة (القرارة ولاية غرداية)، الذي بنى أنفسا وعقولا، كما ألف كتبا تاريخية عن تاريخ الجزائر. ونروم من خلال هذه الأسطر معرفة الأسلوب الذي انتهجه في تدريس طلابه، بعد التعريف بشخصه الكريم، كي يكون نبراسا لكل أستاذ وشيخ وداعية، يسعى لتحبيب العلم للناشئة وغرسه في النفوس. وقد توصلنا إلى أن الشيخ استطاع تجاوز مرحلة التقليد في التدريس والمتوارث أبا عن جد، والفضل في ذلك عائد إلى دراساته العليا بالقاهرة، ومن بين أساليبه استخدام طريقة الخلاصات، ودعوته للتبحر في علوم وفنون شتى.

الكلمات المفتاحية: الشيخ محمد علي دبوز، التعليم، طرق التدريس، التاريخ والجغرافيا، معهد الحياة.

Abstract:

Algeria knew during the French colonial period many sheikhs and scholars, who left a clear imprint on the souls through their virtues and exploits. He wrote historical books on the history of Algeria. We aim through this most dangerous way to know the method that he used in teaching his students, after introducing his honorable person, in order to be a beacon to every teacher, sheikh and preacher, who seeks to endear science to young people and instill it in the souls. We have come to the conclusion that the Sheikh was able to transcend the stage of imitation in teaching and inherited from a father from a grandfather, and the credit for that is due to his higher studies in Cairo, and among his methods is the use of the method of abstracts, and his invitation to delve into various sciences and arts.

Keywords: Seikh Muhammad Ali Dabbouz; Education; Teaching methods; History and geography; Al-Hayat Institut.

مقدمة:

حمل لواء العلم في الجزائر أقطاب أجلاء في شمالها وجنوبها، شرقها وغربا، أحس كل منهم بالمسؤولية العظمى من أجل تنوير الناشئة في كل زاوية من زوايا فنون العلم، وقد كانت منطقة مزاب من بين تلك المناطق التي برز فيها ثلة من العلماء والمشايخ في الفترة الحديثة من أمثال: الشيخ محمد علي دبوز الذي ذاع صيته في الجزائر وخارجها، بفضل جهوده في العلم وبناء الأجيال، وبما تركه من مؤلفات جمة.

وأنا أقرأ مقدمات كتبه استرعى انتباهي عنوانا أحسست أنه موجه لأساتذة العلوم الإنسانية خاصة، و الأساتذة عامة، وهو: فن تدريس التاريخ، فاخترت ذلك لكتابة ورقة في الموضوع، تتحدث عن أساليبه وطرقه التي كان يتبعها في التدريس عامة، ومادة التاريخ بخاصة، وحاولت أن أقارنها بالأساليب المنتهجة في وقتنا هذا، وتتمحور إشكالية هذه الدراسة في البحث عن الطرق والأساليب المتبعة من قبل الشيخ محمد علي دبوز في تدريسه لمادة التاريخ.

ولذلك اقتضي البحث استخدام منهج وصفي لتتبع مسار حياته، الذي ترك آثاره في أسلوب تدريسه، إلى جانب منهج تحليلي لاستنتاج طرقه وأساليبه التي تميز بها عن غيره من زملائه، وجعلت طلابه يحنون شوقا لحصصه. وختمت الموضوع بتوصيات يمكن أن يطبقها كل أستاذ مبتدئ ومتربص، وحتى من كانت له سنوات طويلة في ميدان التعليم، تكون له منهجا وطريقة في تعامله مع طلابه، لكسب اهتمامهم بمادته، واعتنائهم بها.

المحور الأول: سيرته التعلّمية والتعليمية

أولا: الطالب محمد دبوز في مقاعد الجامعة:

هو محمد بن علي بن عيسى دبوز، (الدبوز لقبه العائلي)، من عشيرة آل النشاشبة وأولاد يونس، من مواليد بلدة بريان (ولاية غرداية)، سنة 1337هـ/1919م، وهو الابن الوحيد لأبويه اللذين نذراه للعلم، ففي سن الخامسة من عمره، عيّن له والده أحد عزابة المسجد (مشايخه) ليتلقى منه المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة، ويلقنه قصار السور لحفظها. ثم التحق سنة1347هـ/ 1928م بمدرسة الفتح القرآنية بمسقط رأسه عند افتتاحها، وكان الشيخ صالح بن يوسف بسيس القراري أهم مدرسيه[1]، بعدها انتقل إلى بلدة القرارة سنة1353هـ/1934م لمواصلة دراسته، فاستظهر القرآن الكريم، ثم تلميذا بمعهد الحياة الثانوي سنة1354هـ/ 1935م، وكان من أنشط وأنجب التلاميذ[2].

كان الطالب محمد علي دبوز مثل أقرانه من التلاميذ، يريد مزاولة دراساته العليا في أعرق الجامعات العربية والإسلامية، وكانت الوجهة المعروفة وقتذاك هي الزيتونة التونسية[3]، فأغلب المشايخ قد جلسوا في مقاعدها ونهلوا من علومها، وكان هو أيضا على شاكلتهم، فشد الرحال إليها سنة1361هـ/ 1942م، كما درس بمعهدها: معهد ابن خلدون، مستفيدا من مكتباتها، سيما المكتبة العبدلية والمكتبة الخلدونية ومكتبة العطارين[4]. لكنه لم تدم به الدراسة فيها طويلا، إذ غيّر وجهته نحو القاهرة المصرية سنة1362هـ/ 1943م، سيرا على الأقدام، مجازفا ومغامرا بحياته، ومخترقا إحدى أشرس جبهات القتال في الحرب العالمية الثانية، وقد وصل وجهته بعد 29 يوما كاملة. وفي القاهرة أتم تعليمه، بعد أن نهل من كبار مشايخها وأساتذتها من أمثال: طه حسين، وعباس محمود العقاد، وزكي مبارك، وأحمد أمين، وأنور الجندي وغيرهم، كما استغل فرصة وجوده بمصر، فاطلع على العديد من الكتب والمجلات التي لا تصل إلى تونس ولا إلى غيرها ، بسبب ظروف الحرب، إلى جانب تردده على خزائن المخطوطات في جميع فنون العلم، رغم قلة ذات اليد والنفقات المادية المرهقة، ضف إلى ذلك وحشة الغربة عن الديار [5].

لا يمكننا في هذه الأسطر تناول كل جوانب فترة جلوسه في مقاعد الجامعة، والتي يمكن الاطلاع عليها من خلال رسائله ومؤلفاته التي تركها وهي: "تاريخ المغرب الكبير، ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، وأعلام الإصلاح في الجزائر"، وبخاصة على مقدماتها، ومراجع أخرى تحدثت عن سيرة حياته بأدق التفاصيل، أهمها: مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز ببريان التي أسسها أبناؤه، والتي تهتم به وبتراثه[6]. كانت وفاة الشيخ في مسقط رأسه، بتاريخ 16 محرم1402هـ/ 13نوفمبر1981م.

ثانيا: الأستاذ محمد دبوز مدرس التاريخ بمعهد الحياة:

بعد عودته من القاهرة التي أتم بها دراسته الجامعية لمدة خمس سنوات كان قد بلغ سن الثلاثين، بدأ في أداء رسالته النبيلة وهي التعليم في معهد الحياة بمدينة القرارة منذ سنة 1367هـ/ 1948م، إلى غاية سنة 1402هـ/ 1981م، هذه الفترة الطويلة التي قضاها في التدريس إلى جانب التأليف والبحث وخدمة المجتمع. تحمّل الأستاذ محمد دبوز خلالها مسؤولية تربية وتعليم التلاميذ بمعهد الحياة، تلبية لدعوة شيخه وأستاذه الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، لأداء الواجب الديني والوطني في ميدان التربية والتعليم، فلبى دعوة شيخه وكان عند حسن ظنه، وشمّر المهنة في تفان[7]، وحسر عن ذراعيه وأعطى كلّيته للعلم ورابط فيه[8].

التحق الأستاذ محمد علي دبوز بالمعهد معلما، وحُق لمعهده أن يجني الذي غرس[9]، فاستقبل باحتفال عظيم، باعتباره من بواكير معهد الحياة الذين طرقوا أبواب الجامعات- وإن لم يتحصل على شهادة رسمية-، وكان له الفضل في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل مواد جديدة مثل: علم النفس والتربية [10]، وقد أسندت إليه المواد التي تخصص فيها في الجامعة وهي: الأدب العربي، والبلاغة

والصرف والنحو، والفلسفة وعلم النفس[11]، والمنطق ومناهج التعليم، والتاريخ الإسلامي والإباضي[12]، بمختلف حقبه الزمنية وأمكنته الجغرافية مشرقه ومغربه، قديمه ووسيطه وحديثه، وكان دوامه بالمعهد يأخذ منه حوالي 20 ساعة أسبوعيا؛ تتوزعها المواد المختلفة المذكورة آنفا.

نذكر بالمناسبة معهد الحياة أو معهد الشباب - تسميته الأولى- الذي تأسس على يد رائد الإصلاح بالجنوب الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر في 18شوال1343هـ /21 ماي1925م، ودوره الكبير في الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية، والهوية الوطنية أيام كان الاستعمار الفرنسي في عز جبروته، يحاول طمس الهوية والثقافة الجزائرية بكل ما أوتي من قوة ووسيلة[13]، إذ تعرّض كأمثاله من المدارس القرآنية، والمعاهد والزوايا في كل ربوع الوطن إلى المضايقات ومحاولات الغلق مرات عدة، لكن حكمة مسيريه وإدارته بصفة عامة حالت دون ذلك، وبقي يزاول مهمته النبيلة في غرس القيم والأخلاق الحميدة إلى جانب تعليم المواد الدينية والدنيوية، وقد تخرجت منه أفواج وأفواج من الدفعات، تبوّأت مناصب عديدة، ساهمت في بناء الوطن الجزائري، داخليا وخارجيا ولا يزال.

انصب اهتمام الأستاذ محمد علي دبوز على مادة التاريخ التي أولى لها بالغ العناية ودعته للتأليف، لما رآه من أضرار ناجمة عن كتب الاستعمار[14] التاريخية؛ المملوءة بالأكاذيب والأغلاط والسموم، فأضرت بأبناء الوطن وكتّابهم ومدرّسيهم، الذين يعتمدون عليها في التأليف والتدريس[15]، لذلك آل على نفسه تصحيح ذلك في الأذهان والعقول، قبل الكتب والمؤلفات. فاستطاع بدروسه وخطبه، وكتبه القيمة تصحيح الكثير من الأوهام؛ التي تعمد الاستعمار زرعها في كتبه ومناهجه، قاصدا بذلك محو وتغيير الهوية الإسلامية الجزائرية للمواطن الجزائري إلى هوية أوربية مسيحية، أو لا دينية تؤمن بالوطن الأم المزعوم فرنسا.

ومما دفعه للتدريس أيضا رؤيته للتاريخ بأنه أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية[16]، وأعظم عامل يحرك الشعوب وينهضها، ويدفعها إلى أسمى الغايات، وهو أقوى مطهر للأمم من أمراضها[17]، وهو رسالة تربوية سامية تهدف إلى تربية الجوانب الأساسية في شخصية النشء المسلم في جانبه الديني والوطني والعلمي[18]. والتاريخ عنده للعبرة إذ يقول: "التاريخ للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيها، وكلام غث لا فائدة منه"[19]. و يضيف أن: "التاريخ للاتعاظ والاعتبار، فيجب أن نقف عند هفوات الأجداد، وما أثار الأعاصير عليهم، فنصوره للأحفاد، فنحذرهم منه، ونفتح عيونهم....من العاقبة الوخيمة التي جرتها على أجدادنا تلك الذنوب"[20]. من باب نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج، فنفس الأحداث تتكرر، في زمان ومكان مغاير.

كما ينظر إلى المادة التي أحبها من أهم العوامل التي تساعد على توجيه الناشئة توجيها إسلاميا صحيحا، ففي استطاعتها أن تغرس الفضائل الحسنة في نفوسهم، وتزرع بذرة الخير والصلاح في أعماقهم، لذلك كان يركز على استخلاص العبرة من كل حادثة ومشهد، ويحرص الحرص كله على تنبيه أذهان الطلاب إلى النتائج المستخلصة من الوقائع والحوادث، وربما أخذ ذلك من وقته أكثر مما يأخذ سرد الحادثة أو وصفها[21]. فتحليل الحادثة بدقة وما بين سطورها واستخلاص النتائج منها، ومن جوانبها لهو الأساس من ذكر الحادثة التي يأتي سردها مشوقا للطلاب عند سماعها، والوصول إلى العبرة والاتعاظ بها لأكثر تشويقا، خاصة إذا كان ذلك يحصل من المتعلمين ، فيصلون بإعمال أذهانهم وعقولهم إلى استخراج واستنباط مكنونات الواقعة.

كان الأستاذ محمد علي دبوز محبا للتاريخ ومهتما به منذ صباه، ويعود الفضل في ذلك لأبيه إذ يقول: " لقد كنت مهتما بتاريخ علمائنا المصلحين، وأعلام الإصلاح منهم بالخصوص منذ طفولتي،...كان والدي -رحمه الله- وأنا طفل في العاشرة من سني، يحدثني فيها عن أعلام الإصلاح الذين يعرفهم...ليغرسهم مثلا عليا في نفسي فأكون مثلهم للدين والعلم". فهو بذلك يقتدي بالسلف من "الأنبياء في رسلهم والملوك في دولهم وسياستهم"[22]، على حد قول ابن خلدون. مما جعل الابن محمد يقتفي أثر أولئك العظماء، ويرسم هدفا وطريقا في حياته لبلوغ هدفه، "بدراسة حياة العظماء دراسة نفسية تهدف سبر أغوار شخصياتهم، والوقوف على أهم ما تمتاز به، والتنويه بالأدوار التي قامت بها في معترك الحياة، وربط كل ذلك بالميول الفطرية والمواهب والظروف النفسية والاجتماعية التي مرت بها "[23]، وأكيد أن هناك دورا كبيرا لأمه

الفاضلة[24] التي زرعت فيه الأخلاق النبيلة، وهذا غاية ما يتمناه كل والدين لأبنائهم، الاستقامة والصلاح وخدمة المجتمع.

ثالثا: صفات الأستاذ دبوز وأخلاقه وآثاره:

كان رحمه الله مثالا للجد والمحافظة على الوقت والإخلاص في العمل ممتازا بالبراعة وطول النفس[25]، حازما في الأمور كلها، فصيح اللسان، ذو عزيمة فولاذية، لا ييأس ولا يستسلم [26]، أي هي إجمالا العلم والوقار والخلق الرفيع، كما يصف بها الدكتور إبراهيم بحاز الأستاذ الجامعي[27]، وقد اجتمعت في شخص الشيخ محمد علي دبوز، ومن جهة أخرى كان خفيف الروح دائم الابتسام، يعشق النكتة الظريفة[28]. تلك إذن هي أهم الصفات الأخلاقية التي اتصف بها الشيخ رحمه الله، والتي يتوجب على كل أستاذ أن يتحلى بها حتى يظهر أثرها في الناشئة. وهي الصفات التي تستهوي طلبة العلم، فتجدهم شغوفين بالمادة ومعلمها، ينتظرونه أكثر مما ينتظرونها، وهي المثل العليا التي امتُدح بها الأستاذ محمد علي دبوز من قِبل تلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، عبر السنين الطويلة، وأشادوا بفضله عليهم.

تخرج على يدي الشيخ محمد علي دبوز أفواج عديدة من الطلبة، والذين أصبحوا أعضاء عاملين سدوا ثغورا علمية وعملية، دينية ودنيوية في المجتمع الجزائري عامة، وحتى خارج الوطن، يحملون معهم صفاته وأخلاقه أينما حلوا وحيثما ارتحلوا، فأناروا بفضل بصمته زوايا كانت مظلمة في مختلف المجالات.

كما تخرّجت من أنامل الشيخ محمد علي دبوز مؤلفات عديدة منذ سنة1369ه/ 1950م، وقد بلغ عددها 11 كتابا في التاريخ الجزائري والإسلامي عامة. جمع مادته العلمية من المكتبات، ومن أفواه العلماء بخاصة، وذلك عن طريق جولاته عبر الوطن وخارجه لهذا الغرض. وأهم مؤلفاته المشهورة:

-تاريخ المغرب الكبير: في ثلاثة أجزاء، ويمتد من العصر الحجري إلى عهد الدول الإسلامية المستقلة ببلاد المغرب[29].

-نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: في ثلاثة أجزاء كبيرة.

-أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921 إلى 1974: في خمسة أجزاء كبيرة.

- وله عدة تآليف مخطوطة: تاريخية وأدبية ونقدية منها: تاريخ الدولة العثمانية. وعدة مسرحيات تاريخية واجتماعية، ومقالات متنوعة؛ ملأ بها صفحات "مجلة الشباب" لسان حال معهد الحياة. أما آثاره التي تُعنى بالتربية والتعليم فهي عديدة منها العناوين التالية:

-**المنهج التربوي للتدريس**: موضوع تربوي يتناول المنهج التربوي في كيفية تدريس المواد المقررة في معهد الحياة، ويتناول كل موادها من التفسير إلى جمعية الشباب ومجلة الشباب؛ وكيف يجب أن تكون؛ إلى الرياضة البدنية؛ وكيف يجب أن تمارس.

-**المبادئ العامة في منهج التعليم**: ويتناول هذا الموضوع المبادئ الأساسية العامة التي يجب على المربي والمدرسة أخذها بعين الاهتمام في منهج التعليم.

-**معهد الحياة للتربية والتعليم**: يتناول موضوع البرامج والمناهج التي يجب اتباعها في التربية والتعليم بمعهد الحياة.

-**توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإدارتنا**: يبين الصفات والمبادئ التي يجب أن يتخلق بها المربي والمدرس عموما[30].

المحور الثاني: منهج الشيخ محمد علي دبوز في التدريس

أولا: الأسلوب المتبع في عهده للتدريس:

يستخدم لفظ: طريقة أو أسلوب في التربية عادة للتعبير عن مجموع الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرس مثل: القراءة والمناقشة والتسميع، والملاحظة والتوجيه، والتوضيح والتكرار والتفسير، واستخدام الوسائل التعليمية كالسبورة، ومختلف الأجهزة الحديثة. وبذلك يكون للطريقة أو الأسلوب المتبع من طرف المدرس أهم الجوانب العملية التعليمية، بل هي المشكلة الرئيسة في مضمون العمل بمهنة التدريس[31].

قبل البحث في أسلوب الأستاذ محمد دبوز المتبع في التعليم، يجدر بنا أن نعرج على الأسلوب السائد المعتمد في التدريس في العقد الخمسين والستين والسبعين من القرن العشرين الميلادي، وذلك في المدارس الحرة بالجزائر، ونقارنه بالأساليب المتبعة اليوم في مختلف الأطوار التعليمية ابتدائي ومتوسط وثانوي. وحتى الجامعة، فقد تغيرت الطرق والمناهج والأساليب كثيرا باعتماد طرق حديثة؛ أغلبها مستورد من الغرب، ولكل منهج عيوبه ومزاياه، فالفترة الماضية قد تميز التعليم فيها بـ: "الأسلوب العلمي الجاف الذي يقدم المعلومات في قوالب حجرية جامدة، لا تستثير عاطفة ولا تحرك إحساسا، أو هي تستطرد في متاهات من التفاصيل التي تشوش الذهن، وتنأى عن الحقائق إلى جزئيات هامشية لا غناء وراءها."[32]، أي التعليم الذي كان يعتمد على عنصرين هما المعلم أي الملقن، والطالب أي المتلقي للمعلومة، مع ما في ذلك من حشو للأفكار والمعارف، وما على الطالب سوى حفظها واسترجاعها عند الامتحان، وهنا لسنا بصدد ذكر عيوب ومزايا تلك الأساليب، إنما للتعريف بها، ووضع القارئ على الصورة السائدة آنئذ.

تلكم إذن طريقة التدريس المعروفة، والتي كان أغلب الأساتذة يسيرون وفقها، والتي جعلت الكثير من الطلاب يحفظون الكثير من المتون والشعر ، وقواعد النحو وغيرها، والشيخ محمد علي دبوز كان هو كذلك "يجسد بأسلوبه ذاك مرحلة من مراحل التعليم في الجزائر إن لم نقل في الوطن العربي، حين كانت المواد الأدبية الكلاسيكية طاغية على مناهج التعليم، وحين كانت الأساليب التي ينسج على منوالها الطلاب، هي أساليب العصر العباسي من أمثال: الجاحظ وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب وأضرابهم، أو هم يترصدون خطوات العمالقة من العصر الحديث مثل: الرافعي والزيات وزكي مبارك"[33]. وهذا دليل على انتقال الأساليب والطرق في ميدان التربية والتعليم عبر أقطار العالم العربي والإسلامي، أخذا وعطاء. ويبدو أن المغاربة كانوا أكثر تأثرا بالمشارقة في المجال، فهجرات طلبة العلم كانت تزحف شرقا نحو تونس ومصر وسوريا والعراق، أما الهجرات المعاكسة فكانت نادرة الحدوث.

ولاشك أن السنوات الخمس التي قضاها الأستاذ محمد علي دبوز في مدرجات جامعة القاهرة مع نخبة من أساتذتها، -وقبل ذلك في تونس- كانت كفيلة بأن تؤثر فيه أيما تأثير، وبذلك نقل طريقة تدريسهم إلى المعهد، وهي أسلوب المحاضرة، ورآها الأنسب في البداية[34]. لكن ما لبث أن استحدث لنفسه طريقة وأسلوبا جديدا، رآه الأجدى نفعا لطلابه بمختلف مستوياتهم.

ثانيا: <u>أسلوبه و قواعده في التدريس:</u>

أكد الشيخ محمد علي دبوز على أن التاريخ يجب أن لا يقتصر على السرد والحكاية ومجرد الاطلاع، بل يجب أن نتبع فيه طريقة مجدية، ونختار له نهجا قويما، ونبتكر منهاجا صحيحا، حين نقدمه إلى الناشئة بخاصة، ليكون لهم عامل اجتذاب بدل أن يكون عامل نفور[35]، وكان يفضل انتقاء الصور الجميلة من تاريخنا نظرا لمستوى أعمار التلاميذ، ومداركهم ومدارج تربيتهم، ولا بأس من ذكر هفوات الأجداد ليتجنبها الأحفاد.[36].

لذلك فقد أوجد لنفسه منهجا فريدا لتقديم المادة التاريخية لطلابه، إذ صار يقدمها على شكل "خلاصات مركزة بأسلوب أدبي رائق، يزيد للتاريخ وضوحا ويضفي عليه رونقا، ويكسبه طلاوة تحببه إلى النفوس، وبروح مؤثرة تجعله ذا آثار بالغة في النفس"[37]. وتلك الخلاصات تكون بعد كل محاضرة يكتب نصوصها، واستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكوّن منها كتابٌ هو الذي أقره المعهد في تاريخ المغرب العربي[38]. وهي بمثابة المذكرات التي يستعملها الأساتذة اليوم في الأطوار الأولى من التعليم، والتي تحوي أهم عناصر الدرس من بدايته إلى نهايته، مع جمع للسندات التي سيقدمها الأستاذ للتلميذ سواء من المقرر المدرسي، أو من سندات خارجية؛ يستعين بها على فهم موضوعه.

ولنتخيل أننا طلبة في موسم دراسي بمعهد الحياة في إحدى سنوات العقد الأربعين أو الخمسين، لنحضر حصة من حصص الأستاذ محمد دبوز من بدايتها إلى نهايتها، ومعروف عنه أنه كان يهتم الاهتمام البالغ بتحضير دروسه مسبقا، ويرى هذا أمرا ضروريا أكيدا عليه[39]، ويقوم بتهيئة الخلاصات التي يمليها على تلاميذه، والتمارين التي يختبر بها معلومات الدرس السابق، ودائما كان يسبق تلاميذه إلى الفصل (القسم)، يقوم بتهيئته وتعطيره بالبخور وفتح النوافذ، وما إن يصل تلاميذه حتى يجدوه في أتم الاستعداد

لهم، وكان يبكّر إلى المعهد أيضا بوقت طويل قبل الموعد الدراسي حتى يرسم الخريطة التاريخية على السبورة، ويبين معالمها بالألوان الزاهية. كما كان يرسمها في إطارات كبيرة، ويعلّقها لوقت الحاجة في جدران قسمه، ومازالت تلك الخرائط باقية تدل على مجهوداته فيها،"فخارطة الحائط تبقى جمة الفائدة إذا ما استخدمت لدى العمل الجماعي للتلاميذ"، "إذ تشكل الخارطة أهم وسيلة معينة في درس التاريخ، سواء منها أكانت تاريخية أم جغرافية، إذ هناك صلة وثيقة بين المناطق الجغرافية والحوادث التاريخية، فالعناصر الجغرافية لمنطقة ما، من هضاب ووديان وسهول وأنهار تؤثر في تاريخ هذه المنطقة، سواء أكنا بصدد دراسة الحوادث السياسية، أو الاجتماعية أو العسكرية التي كانت المنطقة مهدا لها"[40] ، وكم كان يضنيه هذا العمل الشاق إذ ليس بالأمر الهين، ولم تكن الخرائط متوفرة في الأربعينيات من القرن الماضي[41]. تلك إذن الوسائل التعليمية بين يدي الأستاذ محمد علي دبوز يوظفها في إيصال المعارف والملكات للتلاميذ.

إذن كان الأستاذ يستعمل الوسائل البيداغوجية المتاحة للشرح، والتي كانت من صنع يديه، إذ كان يؤمن بأن الصورة والخريطة من أهم الطرق التي بها تترسخ المعلومة في ذهن التلميذ، وكان صائبا كل الصواب في ذلك، فلا يمكن تدريس التاريخ بأحداثه وأزمنته دون وسيلة إيضاحية، وإن كانت اليوم قد تعددت وتنوعت، كأجهزة الداطاشيو وغيرها. فلو كانت متاحة بين يديه لما توان في استعمالها، تعميما للفائدة، وإيصالا للفكرة المراد تبليغها لتلاميذه.

وبالعودة إلى أهمية الوسائل التعليمية، فإنها تعرّف الطلاب بالأشياء والموضوعات الجديدة التي لا يملكون صورا إدراكية سابقة عنها، والتي لا يكفي الشرح أو الكلام عنها لغرض فهمها واستيعاب خبراتها الحقيقية، لذا وجب عرض نموذج أو عينة، أو صورة تخطيطية عنها؛ لغرض تحقيق الهدف. وهذه الأهمية تشمل جميع المواد دون استثناء.

كما أنها تجذب انتباه الطلاب للدرس وتشوقهم للمشاركة فيه بفعالية ونشاط، لأنها ترضي حب الاستطلاع لديهم، فهي تعتمد على حاستي السمع والبصر[42]. فتجد المعلومات والمعارف السابقة تتدفق في ذهن التلميذ بمجرد رؤيته للخريطة، محاولا فك رموزها والتعرف على ماهيتها، وموضوعها.

كانت شخصية الأستاذ محمد علي دبوز المرحة تضفي على فصله روح الدعابة والفذلكة بين الفينة والأخرى، وتكون محطات استجمام لنفوس التلاميذ من كد الانكباب ووصب الجد، مما يدفع بهم للشوق إلى ساعاته الدراسية التي كانت أحلى أوقاتهم وأمتعها في نفوسهم[43]، وذلك أمر ضروري للتلاميذ والأستاذ على حد سواء، خاصة إذا كانت الحصة متأخرة زمنيا صباحا أو عشية، فالتلميذ يفقد التركيز والمتابعة بعد حوالي 20 دقيقة من بداية الحصة، لذلك لابد له من وقت مستقطع لتجديد النفس وتستعيد نشاطها من جديد.

كان يلجا أحيانا إلى العقاب البدني إذا تحتم الأمر وكان ضروريا، لكنه نادر الحدوث، إذ يستعمل العقاب النفسي بدلا منه عن طريق تشابيه القارصة اللاذعة، وهو العقاب الأنجع لديه، حيث يُشعر التلميذ بمرارة ما اقترفت يداه من جرم حين يصوره له أستاذه في صورة بيانية حسية قبيحة، فيستيقظ ضميره من غفوته ليجبر فيما قصّر[44]، ولتكون عبرة لزملائه. تلك الطريقة السائدة عهده، وإلى وقت متأخر من تسعينيات القرن الماضي 20م، أما اليوم فقد تم منع العقاب البدني، ولجأ الأساتذة بدل ذلك إلى التقويم المستمر، واحتساب نقطة السلوك والانضباط،. لكن هل سيغير ذلك من تصرف التلميذ المشاغب شيئا؟. وأيهما الأكثر نفعا في الجانب التربوي والأخلاقي للتلميذ، أهو العقاب البدني واللفظي؟ أم نقطة التقويم المستمر ؟ أم هناك حلولا أخرى؟.

كان يدعو إلى تصحيح طريقة تقديم مادة التاريخ للطلاب، من مادة جافة إنصاتية إلى مادة مثيرة لانتباه الطلاب، تشاركية بينهم وبين المعلم. لذلك يرى الأستاذ محمد علي دبوز في مدرس التاريخ جملة من المواصفات والقواعد[45] يجب أن تتوفر فيه، قام بتلخيصها الدكتور محمد ناصر بوحجام فيما يلي :

- أن يلقي دروسه التاريخية بتحليل علمي وروح خطابية، وفي أسلوب طليّ.

-أن يتمتع بشخصية قوية، يكون لها التأثير الكبير في النشء، حين يقدم لهم الحقائق التاريخية.

- أن ينبع التاريخ من أعماقه متأججا بوجدانه، متشبعا بفلسفته، حتى لا يقتل هذا التاريخ حين يقدمه، وحتى لا يكون أخبارا باردة، وأنباء قديمة يحكيها.

- يجب أن يأتي بدروسه ومقرراته في رأسه، لا في كراسه.

- يجب أن يتحمس المدرس المربي للفضيلة في تاريخ العظماء ولكل الأشياء الحسنة، كما يجب أن يظهر مقته للرذيلة ولكل الأشياء السيئة.

- يجب أن لا يسند التاريخ لمن كانت شخصيته علمية محضة، فإنه يقتله، ولا تجدي معلوماته الغزيرة فيه، وذاكرته المحشوة بمادته.

- يجب أن لا يسند تدريس التاريخ إلا للفصحاء الذين وهبهم الله اقتدارا في التعبير، وكانت الشخصية الخطابية فيهم قوية[46].

- يجب أن نكون نزهاء أمناء في التاريخ، لا نتعصب ولا نقلد، وأن ننظر بعقولنا ونبحث بحثا منطقيا خالصا لا توجهنا فيه العواطف الموروثة، ونعتمد في أحكامنا على الأدلة القوية والبراهين الساطعة والنصوص الصحيحة[47].

تلك إذن جملة من القواعد العامة في طريقة تدريس التاريخ، قدمها الأستاذ محمد دبوز للمربين، تنفعهم في أداء رسالتهم التربوية. فهي تكشف عن تجربة كبيرة في الميدان، وتفهّم عميق لعمل المربي الذي يتوخى السبل القويمة والطرق الناجحة في التربية والتعليم[48].

والقارئ لتلك المواصفات يمكن أن يجعل منها قانونا أخلاقيا، فيما يدعى اليوم بأخلاقيات المهنة، وهي ذات مستوى عال، تليق بأن يتحلى بها أساتذة الجامعات أمام طلبتهم حتى يكونوا قدوة لهم، كيف لا واليوم نسمع عن بعض الانحرافات الأخلاقية في الجامعة، يرتكبها الأساتذة والعمداء وغيرهم من الموظفين فيها فضلا عن الطلبة، بسبب غياب الوازع الديني والضمير المهني، وغلبة العاطفة والمحسوبية وغيرها على أمورهم.

إضافة إلى المواصفات السابقة هناك أيضا مبادئ يراها الأستاذ محمد علي دبوز يجب توفرها في المربي عامة فهو يرى إليه من خلال المفهوم الإسلامي الذي ينظر إلى دور المعلم الذي يسمو إلى درجة تقربه من دور الرسل، ولا ينظر إلى تدريس المادة من خلال المفاهيم الغربية التي أغرقنا بها المستشرقون والمتمغربون ومن تلك الأوصاف[49]:

- حب المادة العلمية والغرام بها، مما يؤدي إلى التفاني فيها[50].
- إبراز الفوائد العظيمة التي يجنيها الطالب من المادة بتبيان الهدف من دراستها.
- تقديم المعلومات التاريخية في أسلوب أدبي يستحوذ على اهتمام النفس، ويتحاشى الأسلوب العلمي الجاف[51].
- الاقتناع التام بما يقوله لتلاميذه، والانفعال القوي مع دروسه أثناء العرض والتحليل[52].

وكل تلك القواعد والطرق والأساليب لا يمكن تحقيقها إلا إن اتصف المعلم المربي بجملة من الفضائل كان يتحلى بها الأستاذ محمد علي دبوز، ويدعو إليها تلاميذه وزملاءه في الميدان، منذ أن كان طالبا في مقاعد الدراسة بالجامعة. ومن بين تلك الفضائل:[53]

- **الصفاء**: صفاء الطوية من كل الأحقاد وأدران النفس، وسلامة القلب.
- **الحزم**: ويراه من مقومات نجاح التلميذ في حياته العلمية والعملية.
- **الانضباط في الوقت**: استطاع الأستاذ محمد دبوز أن يدرّس كل هذه المواد الأدبية والاجتماعية والإنسانية لكافة الطلبة وفي مختلف المستويات مع ما يلزمها من تحضير يومي وأسبوعي، فضلا عن الالتزامات الأخرى، بانضباطه ونظامه اليومي.
- **استغلال وقت السحر للتحصيل والكتابة**: ويرى أنه أحسن فرصة للذهن ينشط فيه، حيث يكون هادئا مستريحا، مستعدا كل الاستعداد لتخزين المعلومات وللكتابة واختراع الأفكار الجديدة[54].
- **النظافة**: نظافة الملبس مع الاعتناء بالرائحة الطيبة للجسم.

- **المطالعة**: وكثيرا ما كان يوصي زملاءه –أيام الجامعة- على مصاحبة أمهات الكتب ومراقبة النفس في العمل الجدي المفيد[55].

مواصفات وأخلاق سامية اتصف بها، ودعا إليها الأساتذة والمربين، وكل إنسان غيور على العلم ونشره أن يتحلى بها، مصدرها الأول والداه اللذان ربياه على أخلاق القرآن، وأخلاق الرسول ﷺ وصحابته والتابعين، ثم شيوخه الذين زاول على أيديهم دراسته الأولى أيام الشباب، والمجتمع أو البيئة النقية الصافية التي ترعرع فيها وبين أحضانها، والتي استلهمها أيضا من تجربته مذ أن كان طالبا في مقاعد الجامعة مع أساتذته وأقرانه.

ثالثا: أثر أسلوب تدريسه على طلاب العلم:

أكيد أن أسلوب التدريس والمنهج المعتمد لدى الأستاذ محمد علي دبوز، فضلا عن الفضائل التي اتصف بها ودعا إليها تلاميذه وأقرانه، قد تركت بصمتها، و أثرت فيهم وفي حياتهم، فجعلوها نبراسا في تعليمهم وتعلمهم في مقاعد الدراسة وفي حياتهم اليومية.

فطريقة الخلاصات التي سلكها لم يعهدها التلاميذ من قبل، لذلك قد وجدت بينهم إقبالا وصدى عظيما ورغبتهم فيها قوية، لأنهم اكتشفوا منهجا جديدا لم يألفوه في الأساتذة، وكان انتشاؤهم بدراستها ورغبتهم فيها وتأثرهم بها أكثر مما كان ينتظر، وأبلغ مما رجا[56]. لذلك اعتمدوها في مراجعاتهم اليومية، وتحضيراتهم الأسبوعية والفصلية قبل الامتحانات، وهي طريقة تجعل المتعلم يلخص كل دروسه، في قصاصات يسهل عليه مراجعتها وحفظها، إما بطريقة فردية أو جماعية، ويمكن هنا أن نجري ما يسمى باستبيان بسيط لنرى مدى نجاعة تلك الطريقة في تعلم التلاميذ، أمام الطرق الأخرى المتبعة، فالنتيجة المؤكدة هي أن أغلبهم سيفضلها على غيرها من الطرق[57].

رابعا: الطرق الحديثة في التدريس:

قبل أن نأتي إلى تبيان ايجابيات وسلبيات الأستاذ محمد علي دبوز في منهجه وأسلوبه التدريسي، نذكر بعضا من الطرق الحديثة المنتهجة في التدريس، وأغلبها مستوحى من نظريات غربية محضة، وضعها مختصون في التربية، يرون هي الأنسب في تقديم المعلومة للتلميذ والتقرب منه، والإجابة عن إشكالاته التعليمية والتعلمية، وتبقى كلها عبارة عن اجتهادات وحوصلة لخبرات وتجارب سابقة، قد طبقت على العديد من طلبة المدارس في مختلف المستويات الدراسية، لكن الأستاذ محمد علي دبوز لم يرد اللجوء إليها بما أنه وجد في الإسلام منهجا يغنيه عنها. مع أن منهجه وأسلوبه في التدريس قد تشابه إلى حد كبير مع تلك الطرق المستحدثة والتي استخدمت في الجزائر منذ الأربعينيات إلا في بعض التفاصيل التي انفرد بها. ومن تلك الطرق:

أ-المقاربة بالأهداف: وتقوم على تحديد مجموعة من الأهداف حول المعارف والمهارات التي ينبغي تعليمها من قبل المعلم وحفظها واكتسابها من قبل الطالب، ومن ثم تقويمها أي أن المعلم هو محور العملية التعليمية التعلمية. وهذا النظام لا يتطلب من التلميذ سوى حفظ الدروس، وتهيئة نفسه لتلقي السؤال والإجابة عليه[58]. ولا تترك مجالا للتلميذ كي يعمل عقله أي أن يفكر أو يبدع أو يحلل أو يناقش المعلومة، مهما كان مصدرها. والمطلوب منه في الامتحانات أن يرد للمعلم بضاعته التي أخذها منه فحسب. وهي من أوسع الطرق وأكثرها انتشارا في الجامعات، خاصة في المحاضرات، إذ المحاضر يقف ساعات طويلة أمام طلبته، مخاطبا، شارحا، رافعا صوته أحيانا ومخفضا أحيانا أخرى، لا ينتظر من الطالب انتباها أو تركيزا، همه الإملاء الممل وإنهاء محاضرته. الطالب بمثابة وعاء فارغ يصب فيه ما يتجمع لدى المعلم من معلومات الماضي وحكمه. ما يجعل الطلبة يصابون بالملل والتعب، وعدم تدوين المعلومات التاريخية، والتواريخ الأساسية بسبب سرعة الإلقاء أو ضعف الصوت، أو أسباب أخرى.

نجد الأستاذ محمد علي دبوز قد استخدمها بشكل واسع –كما ذكرنا- متأثرا بأساتذته في الجامعة وهي طريقة المحاضرة[59]، وقد ارتبطت هذه الطريقة بالتدريس منذ أقدم العصور ، على أساس أن المعلم هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، وأن المستمعين ينتظرون أن يلقى عليهم بعضا مما عنده ، بهدف إفادتهم وتنمية عقولهم ، وهذا المعنى يتفق ومفهوم المدرسة باعتبارها عاملا من عوامل نقل المعرفة إلى الطلاب، وتدعى أيضا بالطريقة الإلقائية أو بالإخبارية التي

تعتمد على الأستاذ كدور محوري وأساسي في العملية التربوية .إيمانا منه بأن هناك جملة من الأحداث التاريخية وتواريخ هامة أو أفكار لا يعرفها الطلاب، ولا يستطيعون الوصول إليها في كتبهم أو مراجعهم، يجب أن يتلقوها، ويقوم بتسجيلها على السبورة أو توضيحها من خلال خارطته، كما يفهم من اسمها أن المعلم يحاضر طلابه مشافهة، ويشرح لهم المعلومات الجديدة التي تتعلق بموضوع الدرس، وهذا يبتعد بها عن أن تكون عملية إملاء من كتاب أو مذكرة . والمعلم أثناء شرحه يستخدم صوته بطبقاته المختلفة، كما يستخدم يديه للإيضاح، بل وبقية أعضاء الجسم، مراعيا الحركات التي تعبر حقيقة عن الأفكار التي يريد توصيلها للطلاب. وقد استخدمها الأستاذ محمد دبوز لمحاسنها، إذ يمكنه بها الدخول والاستطراد في المحاضرات الجديدة أول مرة، كما تعطيه المجال لتقديم المعلومات الإضافية، فالمعلم بخبرته الواسعة، وبأفكاره الناضجة، وبتحضيره الجيد، عليه التبحر في الموضوع أكثر من ما هو محدد في المقررات. كما أنها مثيرة للشوق وباعثة على الانتباه، إذ كان قادرا على إثارة عواطف طلابه والتأثير عليهم وجلبهم إليه[60].

ومن جهة أخرى؛ ورغم مساوئ هذه الطريقة نجد الأستاذ محمد علي دبوز قد استطاع إلى حد كبير تحقيق أهدافه فشخصيته القوية، وزاده العلمي والمعرفي، جعلاه يتحكم في الوقت ويضبطه، ويشرك التلاميذ في محاضراته بين الفينة والأخرى عن طريق أسئلة فجائية، غرضه منها جمع أذهانهم، و تصويب تركيزهم. وكسر الملل الذي يعتريهم.

ب-المقاربة بالكفاءات: يعتمد على مقاربة منهجية تجعل من المتعلم أي التلميذ محور العملية التعلمية فهو يساهم في بناء كفاءات معينة ويستثمرها في وضعيات إشكالية تواجهه. وذلك من أجل إبعاد الملل عنهم وتثبيت المادة في أذهانهم وتعليمهم كيف يفكرون[61]. يعني إشراك التلميذ في عملية التحضير للدرس والمشاركة في تقديمه أثناء الحصة عنصرا بعد عنصر من خلال سندات مقدمة من مختلف المصادر والوصول في النهاية إلى نتيجة أو خلاصة يستخلصها التلميذ من تلك الوضعية التعلمية، وإيجاد حل للإشكالية، وقد تكون هذه الطريقة ايجابية أكثر من سابقتها، لكن ممكن ستأخذ وقتا أطول بكثير من سابقتها، وتجعل فئة قليلة من التلاميذ يهتمون ويشاركون في العملية من الإشكالية إلى نهاية الحل بينما الأغلبية منهم، قد يتوقف في جزئية من الجزئيات المستعصية.

في هذه الطريقة نجد الأستاذ محمد علي دبوز يستخدمها بشكل واسع، وإن لم يكن يتتبع فيها كل المراحل، لكن كان يؤمن بأن التلميذ هو المحور الذي تدور حوله الجهود والمساعي، وهو الذي يجب أن يكون الفعال في الدرس، فيحضّر ويسأل، ويناقش ويعلل ويستنتج.ن كما كان يدعو إلى استثارة عقل التلميذ وتنشيطه لا إلى تعطيله [62]، إذ كان يشعر تلامذته بأنه صديق لهم، أكثر من كونه مسؤولا عنهم، وذلك لزرع الثقة بالنفس لدى طلبته، وثقتهم أيضا بأستاذهم، إذ كان يهتم بأمورهم الخاصة.

رغم وجود طرق وأساليب أخرى لتدريس مادة التاريخ، إلا أننا نجد الأستاذ محمد علي دبوز قد آثر المزج بينها، فمن بين الطرق الأخرى هناك طريقة الأسئلة، التي كانت ولا تزال الأكثر شيوعا فهي أداة فعالة لإنعاش ذاكرة الطالب، وجعله أكثر فهما، وإيصاله إلى مستويات عالية من التعلم.

ونجد الأستاذ محمد علي دبوز يوظفها مع طلبته في القسم، بين حين وآخر خاصة أثناء المحاضرة، وفي ساعات الصباح الأولى أو أواخر النهار عشية، والطريقة الأخرى هي طريقة المناقشة التي يمكن استخدام الأسئلة فيها لكن ليس بشكل ضروري، والمناقشة تدخل ضمنيا في إطار المحاضرة، إذ كان الأستاذ محمد علي دبوز يسترسل في محاضراته، وما إن يستوقفه أحد طلابه بسؤال حتى تجده يرد عليه السؤال من جهته، ويرمي كرة الإجابة إلى ملعب زملائه الطلبة، فيبدأ النقاش الحاد أحيانا، ويقوم هو بدور المصوب والمصحح للإجابات وتثمينها، كما يزود طلبته بمعارف جديدة قد تكون خارج الموضوع أحيانا لكنها من الواقع المعاش. إلى جانب طريقة حل المشكلات التي تنبني على تقسيم عناصر الموضوع إلى مشكلات مستقلة، وإشراك الإجابة عنها من طرف الطلبة، والوصول في الأخير إلى وضع خلاصات هي بمثابة عناصر الموضوع ن وهي تتشابه إلى حد كبير مع طريقته في الملخصات المذكورة آنفا. وطرق أخرى عديدة.

خامسا: نقده في طريقته:

لا يمكن القول أنه نقد بأتم معنى الكلمة، فهو يستلزم ذكر الايجابيات والسلبيات معا، مع دراسة ظروف تلك المرحلة والأوضاع العامة، الاجتماعية والتعليمية التي من المؤكد لها تأثير في ذلك، وأنّى لأستاذ مبتدئ متربص أن يذكر عيوب شيخ له في المهنة زهاء الثلاثين سنة، إنما هي مجرد ملاحظات مجموعة من معاصريه من الأساتذة وكبار التلاميذ الذين تخرجوا على يديه، ويزاولون اليوم مهنة التدريس.

إذا قمنا بإسقاط أسلوب ومنهج الأستاذ محمد علي دبوز على معايير التدريس والتعليم اليوم، قد نجدها تتوافق معها إلى أبعد الحدود، وقد تكون طريقة المحاضرة والخطابة هي الطريقة الأنسب التي رأى الأستاذ محمد علي دبوز نهجها لإيصال المعلومة التاريخية لطلابه، وتوظيفها يستلزم جملة من الشروط لدى المعلم والطلاب على حد سواء. فطول النفس والتحضير الجيد[63]، واللغة السليمة والصوت الجهوري من أهم ما يجب أن يتحلى به المعلم والإصغاء والاهتمام، وطرح الأسئلة والتركيز الجيد، وتدوين الأفكار من جانب الطلبة حتى يتحقق المطلوب.

وبحكم تكوين شخصية الأستاذ محمد علي دبوز في فن الخطابة نجد هذا الأسلوب طاغيا على الأساليب الأخرى لديه في التدريس، وقد يكون المفضل لديه، إذ "ما يمكن أن نلحظه من أسلوب يطغى عليه الخيال الشعري والمبالغة العاطفية أحيانا، فإن هذا الأسلوب هو جزء من شخصية الشيخ محمد علي"[64]، كيف لا وهو الذي حضر محاضرات كبار الأدباء المصريين أيام الجامعة من أمثال: محمد عطية الأبراشي، وأنور الجندي وندواتهم الفكرية، وقد تشبع بأفكارهم وأسلوبهم ومنهجهم، وقبل ذلك لا ننسى أنه خريج معهد الحياة، أي أنه كان تلميذا للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والشيخ سعيد شريفي(الشيخ عدون) وأمثالهم، من أقطاب الإصلاح ورجالاته[65] في التدريس والوعظ والإرشاد والتفسير وسائر الفنون، الذين نهل من علمهم وأسلوبهم التعليمي والدعوي. ومؤكد أن التلميذ محمد علي دبوز قد تأثر كثيرا بهم، وبأساليبهم التدريسية، فحاول الجمع بين جميع أنواع الأساليب التي تربى عليها سواء في القرارة أو تونس أو القاهرة، موجدا لنفسه أسلوبا جديدا هو خلاصة تجاربه الطويلة.

أما الذين تحدثوا في أسلوبه ومنهجه فمنهم تلميذه محمد ناصر بوحجام الذي يتحدث عنها قائلا: " هي الطريقة التي كان يدرسنا بها التاريخ في معهد الحياة، كان يقدم لنا دروسه على شكل محاضرات، ليس لنا في دروسه، أي جهد يذكر، نبذله لنعمل عقولنا فيه، وفي التاريخ المقدم لنا"[66]. وهنا يشير الدكتور إلى أن أسلوب الأستاذ محمد علي دبوز كان أسلوب مقاعد الجامعة، حيث الأستاذ الخطيب والطالب المتلقي، ويبدو أنه استعمله لطلبة المستويات العليا في المعهد، حيث كان يمرنهم على الاعتماد على الذات في التحصيل، لا على الأستاذ، تهيئا لهم لولوج الجامعات.

ويرى الدكتور محمد ناصر بوحجام أن الطريقة المثلى هي " التي تقوم على إثارة التلاميذ وتحفيزهم على العمل، وبذل الجهد، وتقوم على النشاط الايجابي من التلاميذ، والتوجيه والقيادة والإشراف من المدرس، وتسمح بالتعاون والعمل الجماعي على أسس ديمقراطية، ولا تهمل في نفس الوقت العمل الفردي الاستقلالي، وتشجع التفكير المستقل والحكم المستقل من التلاميذ"[67].

إذ أن التاريخ الذي يقدم للنشء بروح خطابية، يُخشى منه أن يسرف المربي أو المدرس في هذه الخطابية، فيهمل دور المتلقي أو التلميذ في درس التاريخ، فيكون الجهد مبذولا من جهة واحدة، وهي جهة المعلم، بينما طرف التلميذ يبقى سلبيا، يغرق في الاستماع، وينشأ على السلبية في النشاط، وعلى التسليم بما يقدم له، فيتعطل عقله أو تفكيره[68]. لكن الدافع الذي دفع بالأستاذ محمد علي دبوز إلى نهج أسلوب المحاضرة هو عدم وفرة المراجع والكتب وندرتها في المكتبة، لذلك فهو يساعد الطالب على إيجاد المعلومة بأيسر الطرق، ومعلوم أن مكتبة معهد الحياة لم تكن تضم في رفوفها العديد من الكتب المتخصصة، إن هي إلا كتب جُمعت من المحسنين أو تبرع بها مشايخ المعهد، وتفتقر إلى ما يمكن تسميته بالوفرة والتخصص.

ومن جهة أخرى يدافع الدكتور محمد صالح ناصر عن الأستاذ محمد علي دبوز ونظريته إذ يقول: "وما من شك في أن الكثير من أساتذة التاريخ اليوم قد يختلفون مع الشيخ في هذه النظرية، ولاسيما أولئك الذين يؤمنون بمناهج الغرب فيما يسمى بالموضوعية، والحياد العلمي، والبحث النزيه وما

أشبهه....والواقع أن الشيخ محمد علي دبوز يوضح نظريته هذه؛ وهو يتحدث عن دور المربي من خلال المفهوم الإسلامي...ولا ينظر إلى تدريس المادة من خلال المفاهيم الغربية "[69].

خاتمة:

بعد الاطلاع على بعض من جوانب أسلوب الشيخ محمد علي دبوز ومنهجه في التدريس، ومعرفة الطرق الحديثة المتبعة فيه، وسرد ما كتبه بعض من تلاميذه عنه وما كتبه ناقدوه عنه، يمكن الوصول إلى بعض الحقائق المهمة منها:

-البيئة والزمن اللذين عاش فيهما الشيخ محمد علي دبوز لم يكن من السهل بمكان تغيير الطرق والمناهج فيها نظرا لأسلوب تعليمي متوارث أبا عن جد، ومن الصعب استبداله بطرق ومناهج جديدة، نظرا للمستوى التعليمي العام في المجتمع.

-استطاع الشيخ أن يكتسب مهارات عدة بعد تمدرسه في المراحل التعليمية بالقرارة، ودراسته الجامعية بتونس والقاهرة التي أكسبته خبرة كبيرة في ميدان التعليم لم تكن موجودة لدى أقرانه من الأساتذة في عصره.

-استطاع أن يجمع بين عديد الطرق التي يراها مناسبة في كل مرحلة من مراحل التعليم، فهو بطرقه تلك يمكن اعتباره أستاذا بالمتوسط والثانوي، وحتى الجامعة.

-استحسن الأساتذة والطلبة طريقة الخلاصات التي لم تكن معهودة في زمانه ولا قبلها، واتخذوها طريقة للدراسة، لما لها من مزايا عديدة في الحفظ والمراجعة.

-لم يكن مهتما بالطرق الغربية في التدريس، وإنما حاول جاهدا أن يتخذ المنهج الإسلامي كأسلوب رآه يغني عن أي منهج آخر.

-ضرب لنا المثل الأعلى في الصفات الأخلاقية والتربوية الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الأستاذ والتلميذ على السواء، من خلال جملة الآداب والأخلاق التي وصفه بها أقرانه وتلاميذه ونصحنا بها في كتبه.

-كان يحضّر دروسه بعناية قبل عرضها أمام تلاميذه، مستخدما في ذلك كل الوسائل المتاحة، رغم نقصها في عهده.

-يضرب المثل بالواقع الذي تعيشه الجزائر في ظل الاستعمار والأمة الإسلامية عند سرده لأي حادثة تاريخية، وذلك من أجل استخلاص العبر والفوائد.

-ألف كتابا في تاريخ المغرب العربي وهو معتمد معهد الحياة وهي رسالة لكل أستاذ أن يكون مرجعا لتلاميذه من خلال مؤلفاته، لا أن يعتمد على كتابات غيره فحسب.

- تدريسه لمواد أخرى إضافة إلى التاريخ هي إشارة لكل أستاذ أن يتبحر في مختلف العلوم والفنون ليوسع مداركه ومعلوماته، وينمي قدراته، فالمعلم عليه أن يكون ذا بضاعة علمية، يستطيع بها إجابة طلابه، وذلك بالمطالعة المستمرة، لمختلف التخصصات العلمية، والشرعية وغيرها، إذ كل المواد تساعد وتكمل بعضها البعض.

هي غيض من فيض وقطرة من بحر، فالجوانب عديدة تلك التي يمكن استخلاصها من سيرة شيخنا محمد علي دبوز، ومنهجه في التدريس، والتي يمكن جعلها نبراسا في حياتنا ناهيك عن مؤلفاته وعلاقاته الاجتماعية مع المشايخ والطلبة داخل الوطن وخارجه.

وتاريخ سيرته من الأهمية بمكان البحث فيها، إذ الدراسات والبحوث الأكاديمية فيها قليلة وإن لم تكن نادرة، ومنه ندعو الطلبة والباحثين ومخابر البحث إلى اتخاذها بحوثا في مختلف مراحل دراستهم الجامعية في التدرج وما بعده، وحتى مناقشتها في الملتقيات الوطنية والدولية وترجمتها إلى اللغة الانجليزية وغيرها، لنولي لها الأهمية القصوى فتاريخ الرجال وسيرهم والترجمة لهم- كما اهتم به بنفسه ودوما كان يدعو إليه- يجعل الناشئة والأجيال تتأسى وتقتدي بالأخيار من المشايخ والعلماء خلفا عن سلف.

. قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1-ابن خلدون عبد الرحمن: **مقدمة ابن خلدون**، ج1، دار الفكر، بيروت، 2001.

2- دبوز محمد علي: **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى عام 1975م**، 5أجزاء، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

3-دبوز محمد علي: **تاريخ المغرب الكبير**، 3أجزاء، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

4- دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، حياته وآثاره**، 3أجزاء، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

5- ناصر محمد صالح: **أعلام وأقلام**، ط1، دار ناصر ، الجزائر، 2017.

6- ناصر محمد صالح: **مشايخي كما عرفتهم**، ط1، دار الريام، الجزائر، 2008.

7-ناصر محمد صالح: **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، (د.ط)**، نشر مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، بريان، غرداية، 1989.

المراجع:

8-تريكي رابح: **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

9- الجندي أنور: **مفكرون وأدباء من خلال آثارهم**، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1967.

10- حسام عبد الله: **طرق تدريس التاريخ**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003.

11-دبوز بيوض إبراهيم: **الشيخ محمد علي دبوز-تاريخه، شخصيته، جهاده، آثاره-** ، مكتبة الصفاء، بريان، (د.ت).

12- زكرياء محمد وعبّاد مسعود: **التدريس عن طريق المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات**، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الحراش، 2006

13-لعساكر إسماعيل: **بريان تاريخ وحضارة-دراسة: تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية-**، ط1، مطبعة أسامة، بريان، 2018.

14- ناصر بوحجام محمد: **مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط1**، نشر جمعية التراث، القرارة، 2011.

15- مجموعة مؤلفين: **معجم أعلام الإباضية (منذ القرن 1هـ إلى 15هـ) قسم المغرب**، 4 مجلدات، ط1، جمعية التراث، القرارة، 1999.

16-شبيب فتحي ناديا: **طرق تدريس التاريخ**، 1976،

•**المقالات:**

17- بحاز إبراهيم: **الأستاذ العنصر المهم في عملية التدريس الجامعي**، دورية الحياة، جمعية التراث، ع18، جويلية 2014، المطبعة العربية، غرداية .

18- ناصر بوحجام محمد: **الذكرى العاشرة لوفاة شيخنا الفاضل محمد علي دبوز**، مجلة العقيدة، رجال وتاريخ، نوفمبر1991،

•**المداخلات:**

19- العزابي يونس، **الملامح التربوية في فكر الشيخ محمد علي دبوز**، الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

20- بوسنان بكير والواهج ربيع، **تقييم الأداء التدريسي للأستاذ محمد دبوز من وجهة نظر طلبته بمعهد الحياة**، الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

21- أرفيس باحمد، **الشيخ محمد علي دبوز المربي الحازم والجليس الظريف**، ملتقى الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

. الهوامش:

1- بيوض إبراهيم دبوز: الشيخ محمد علي دبّوز-تاريخه، شخصيته، جهاده، آثاره- مكتبة الصفاء، بريان، (د.ت)، ص17. إسماعيل لعساكر: بريان تاريخ وحضارة-دراسة: تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية- ط1، مطبعة أسامة، 2018، بريان، ص ص130، 176.

2- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، حياته وآثاره، ، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013. 25/3.

3- محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، 164/2.

4- محمد علي دبوز: نهضة، نفسه، 165/2. محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، ط1، دار الريام، الجزائر، 2008. ص159.

5- محمد صالح ناصر: الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، **(د.ط)**، نشر مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، بريان، غرداية(د.ت)، ص16.

6-للمزيد من تفاصيل حياته ينظر: http://www.cheikhdabouz.com/cms/index.php/2019-05-22-11-39-27/2019-05-22-11-39-52

7- محمد علي دبوز: نهضة ، مصدر سابق، 41/1، محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص17.

8-محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921م إلى عام 1975م، ج5، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر، ص7.

9-محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح، نفسه، 7/5.

10 -مجموعة مؤلفين: معجم أعلام الاباضية (منذ القرن 1هـ إلى 15هـ) قسم المغرب، جمعية التراث،1999، القرارة، مج4، تر840، ص813.

11 -"كان الشيخ دبوز عظيم الشغف بعلم نفس الطفل وهي مادة أساسية لطلاب معهد الحياة المتأهبين للتخرج إذ قد يكون من بينهم من يتوجه إلى التعليم، حيث تكون هذه المعلومات أساسية للمعلم الناجح." أنظر: محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص31.

12-محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة، ط1، 2013، المحمدية، الجزائر، ج2، ص10. محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص18. محمد صالح ناصر: أعلام وأقلام، ط1، دار ناصر ، الجزائر، 2017، ص551.

13- وقد أشار الشيخ دبوز الى ذلك عديد المرات في مؤلفاته. مثال ذلك: تاريخ المغرب الكبير، ج2، مقدمة، ص9.

14 -"كان معهد الحياة الثانوي بالقرارة ولاية غرداية من تلك المدارس الحرة التي أنشئت... لنشر التربية الإسلامية الصحيحة واللغة العربية، ....وكان غلاة المستعمرين الذين يقصدون التجسس على مدارسنا ومناهجنا يطرقون أبوابه متظاهرين بالزيارة البريئة، والاطلاع على سير التعليم العربي في الجزائر....وكان أول سؤال يواجهنا به هؤلاء المستعمرون ...قبل الثورة: هل تدرّسون التاريخ الإسلامي؟ فإذا قلت نعم، اسودّت وجوههم وبدت علامات التشاؤم والارتياع عليهم." انظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ج2، مقدمة ص9.

15 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج2، مقدمة، ص5. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص192. أنور الجندي: مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1967، ص248.

16- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ج2، ص14.

17 -محمد علي دبوز: نفسه، ص13 و22.

18 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص36. محمد ناصر بوحجام: الذكرى العاشرة لوفاة شيخنا الفاضل محمد علي دبوز، مجلة العقيدة، رجال وتاريخ، نوفمبر1991، ص19.

19 -محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح، مصدر سابق، ج1، ص8.

20 -محمد علي دبوز: تاريخ المغرب، مصدر سابق، ج2، ص21.

21 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص29-30.

22- عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج1، دار الفكر، 2001، ص13.

23 - محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص96.

24 - ورث عنها الحزم حتى في مشيته وسيره وكان يدعو طلبته إليها . أنظر: محمد علي دبوز: نفسه، ص45.

25- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح، مصدر سابق، ج5، ص7.

26- محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص14. باحمد أرفيس، الشيخ محمد علي دبوز المربي الحازم والجليس الظريف، ملتقى الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

27- إبراهيم بحاز: الأستاذ العنصر المهم في عملية التدريس الجامعي، دورية الحياة، ع18، جويلية 2014، المطبعة العربية، غرداية، ص168.

28- محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص21. حسام عبد الله: طرق تدريس التاريخ، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص8.

29- أنور الجندي: مرجع سابق، ص248.

30- أنظر آثاره الكاملة عند نجله إبراهيم بيوض دبوز: مرجع سابق، ص33-44.

31- حسام عبد الله: مرجع سابق، ص45.

32 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص42-43، محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص17.

33 - محمد صالح ناصر:نفسه، ص36.

34 -يقول تلميذه الدكتور محمد ناصر بوحجام: هي الطريقة التي كان يدرسنا بها في معهد الحياة، كان يقدم لنا دروسه على شكل محاضرات. انظر: محمد ناصر بوحجام: مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط1، جمعية التراث، القرارة، 2011، هامش ص59.

35 - محمد ناصر بوحجام: نفسه، ص57.

36- محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص35. محمد صالح ناصر: أعلام وأقلام، مرجع سابق، ص552.

37 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص43، محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص17.

38 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص43.

39- إبراهيم بحاز: مرجع سابق، ص168 وما بعدها. محمد صالح ناصر: أعلام وأقلام، مصدر سابق، ص551.

40- محمد صالح ناصر: أعلام وأقلام، مصدر سابق، ص551. ناديا شبيب: طرق تدريس التاريخ، ص24. بيوض إبراهيم دبوز: مرجع سابق، ص32.

41 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص49.

42- حسام عبد الله: مرجع سابق، ص111.

43 -محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص44.

44 - محمد علي دبوز: نفسه، ج1، ص47.

45 -محمد علي دبوز: تاريخ المغرب، مصدر سابق، ج2، ص23-24، محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص48-49. حسام عبد الله: مرجع سابق، ص9.

46 -محمد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص57-58.

47 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص35.

48 -محمد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص60.

49 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص32.

50 - نفسه، ص32.

51 - محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص43-44.

52 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، نفسه، ص32.

53 - محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص44-46.

54 - له في الانضباط واستغلال الوقت مواقف ذكرها الدكتور محمد ناصر ، انظر: محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص46.

55 -"تعلمنا منه ذلك الشعار الذي مازال يدوي في أنحاء النفس: عليكم بالفرس الأدهم. وهو يعني المطالعة والكتابة والعمل الجدي في السحر. انظر: محمد ناصر: مرجع سابق، ص20. يونس العزابي، الملامح التربوية في فكر الشيخ محمد علي دبوز، ملتقى الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

56- محمد علي دبوز: نهضة، مصدر سابق، ج1، ص43، محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق، ص17.

57 -بكير بوسنان وربيع الواهج، تقييم الأداء التدريسي للأستاذ محمد دبوز من وجهة نظر طلبته بمعهد الحياة، ملتقى الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، الثلاثاء والأربعاء 24-25 نوفمبر2020م، جامعة غرداية، الجزائر.

58- ناديا شبيب: مرجع سابق، ص23. محمد زكرياء و مسعود عبّاد: التدريس عن طريق المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الحراش، 2006، ص21.

59- حسام عبد الله: مرجع سابق، ص59.

60- بكير بوسنان و ربيع الواهج ، مرجع سابق.

61- ناديا شبيب: مرجع سابق، ص23. محمد زكرياء ومسعود عباد: مرجع سابق، ص63.

62 -محمد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص59.

63- حسام عبد الله: مرجع سابق، ص9

64- محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج، مصدر سابق،ص 36.

65 -مجموعة مؤلفين: معجم، مرجع سابق، مج4، تر840، ص812.

66 -محمد ناصر بوحجام: مرجع سابق، الهامش ص59.

67 -محمد ناصر بوحجام: نفسه، هامش ص59،60 نقلا عن: الدكتور جعفر سعادة، دور القراءات الخارجية في تدريس التاريخ، ص68،69. حسام عبد الله: مرجع سابق، ص11.

68 -محمد ناصر بوحجام: مرجع سابق، ص59.

69 -محمد صالح ناصر: دبوز والمنهج،مصدر سابق، ص32.